الباب الثالث

في ذكر الذين يتلقون من الله تعالى وحيا على الوجه
الأكمل والأصفى
ويحظون بشرف المكالمة والمخاطبة الكاملة،
ويرون الرؤى الصادقة كفلق الصبح
وتكون لهم علاقة حُبّ بالله تعالى على وجه أكمل وأتم
ويدخلون نار حبه،
ويحترق وجودهم النفسي بشعلة النور ويصبح رمادا

اعلموا أن الله رحيم وكريم جدًّا، والذي يرجع إليه بالصدق والصفاء يُظهر الله له صدقه وصفاءه أكثر. والمتقدم إليه بصدق القلب لا يُضاع. إن الله يتحلى بأخلاق عالية لإظهار الحب والوفاء والفيض والإحسان والتجليات، ولكن لا يشاهدها كاملة إلا من يفنى في حبه. إنه ﷻ رحيم وكريم، كما أنه غنيّ ومستغنٍ أيضا، لذا فالذي يموت في سبيله ينال الحياة منه ﷻ، والذي يفقد كل شيء من أجله ينال إنعاما من السماء.

إن الذين ينشئون صلة كاملة مع الله تعالى يشبهون كثيرا مَن يرى ضوء النار من بعيد أولا ثم يقترب منها حتى يدخلها فيحترق جسده كله ولا يبقى إلا النار. كذلك يظلّ صاحب الصلة الكاملة يتقرب إلى الله تعالى يوما إثر يوم حتى يدخل وجوده كله في نار حب الله ويحترق كيانه النفسي بشعلة النور ويصير رمادا وتحل محلَه النارُ؛ فتلك هي ذروة حبه الله تعالى. إن أكبر علامة لعلاقة أحد مع الله تعالى هي أن تتولَّد فيه الصفات الإلهية، ويتولّد فيه كيان جديد بعد احتراق الرذائل البشرية بشعلة النور وتنمو فيه حياة جديدة مغايرة تماما للحياة السابقة.

عندما يوضع الحديد في النار، وتأخذ النار منه كل مأخذ يصبح على هيئة النار تماما، ومع هذا لا يسع القول إنه نار، وإن كان يُظهر صفاتها.. كذلك تماما مَن غشيته شعلة الحب الإلهي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه فإنه يصبح مظهرا للتجليات الإلهية، ولكن لا يمكن القول إنه إلهٌ، بل ما زال عبدا غشيته تلك النار. وبعد سيطرة النار عليه تنشأ فيه ألوف من أمارات الحب الكامل. ولا تكون أمارة واحدة حتى يُخشى اشتباهها على فطين باحث عن الحق، بل تُعرف تلك الصلة من خلال مئات العلامات◎.

◎ من أهم علامات الصلة الكاملة هي كما أن الله غالب على كل شيء كذلك يكون صاحب هذه الصلة غالبا على كل عدو ومبارز. ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾، منه.

ومن تلك العلامات أن الله تعالى يُجري على لسانه بين حين وآخر كلامه الفصيح والحلو المحتوي على عظمة وبركات إلهية وقوة كاملة على الغيب ويكون مصحوبا بنور يبرهن على أنه أمر يقيني وليس ظنيا، ويرافقه لمعان رباني ويكون منـــزَّها من الشوائب. وفي معظم الأوقات وغالب الأحيان يكون هذا الكلام محتويا على نبوءات عظيمة ذات نطاق واسع وعالمي، وتكون عديمة النظير كيفًا وكمًّا ولا يقدر أحد على الإتيان بنظيرها، وتكون مليئة بهيبة إلهية، ومن خلالها يتراءى وجه الله تعالى بسبب قوتها التامة. لا تكون نبوءاته مثل نبوءات المنجِّمين، بل تلاحَظ فيها أمارات الحب والقبول الإلهي وتكون زاخرة بالتأييد والنصرة الربانية. وتكون بعض نبوءاته عن نفسه وبعضها عن أولاده وأصدقائه، وبعضها عن أعدائه، وغيرُها عن الدنيا بشكل عام، ومنها ما تكون لأزواجه وذويه. تُكشَف عليه أمور لا تُكشف على غيره وتُفتح في نبوءاته أبواب الغيب التي لا تُفتح لغيره. وينـــزل عليه كلام الله كما ينـــزل على أنبيائه ورسله الأطهار ويكون كلاما يقينيا ومنـــزّها عن الظنون. يُعطَى لسانُه شرفا إذ يُجرى عليه كلام عديم النظير كيفًا وكمًّا لا يسع الدنيا مبارزته. وتوهَب عينُه قوة على الكشوف فيرى أمورا أدقَّ وأخفى. وفي كثير من الأحيان تُعرَض عليه كلمات مكتوبة، ويقابل الأمواتَ مقابلةَ الأحياء. وكثيرا ما تمثل أمام عينيه أشياء تبعد في الواقع مئات الأميال وكأنها تحت الأقدام.

كذلك توهَب أذنه قوة لسماع المغيبات، ففي كثير من الأحيان يسمع صوتَ الملائكة ويطمئن بسماعه في حالات الاضطراب. والأغرب من ذلك أن يتناهى إليه أحيانا صوت الجمادات والنباتات والحيوانات أيضا.

فلسفى كو منكرِ حنّانه است از حواس انبياء بيگانه است

أي إن الفيلسوف الذي ينكر بكاء الجذع* لا يدرك أحاسيس الأنبياء الباطنية.

كذلك يُعطى أنفُه قوة شمٍّ شذى الغيب فيقدر في معظم الأحيان على شمِّ أمور مبشِّرة، كما يحس رائحة كريهة لمكروه قادم. وعلى هذا المنوال يُوهَب قلبه قوة الفراسة وتُلقى في قلبه أمور كثيرة ويثبت صدقها. فهكذا يُحرم الشيطان من التسلط عليه لأنه لا يبقى للشيطان حظٌ في هذا الشخص. ولكونه فانيا في الله تعالى إلى أقصى الدرجات يُصبح لسانه لسان الله دائما، ويدُه يد الله، ففي هذه الحالة كل ما يجري على لسانه لا يكون من تلقاء نفسه بل من عند الله – وإن لم يتلق الإلهام بشكل خاص – لأن كيانه النفسي يكون قد احترق كليا ويطرأ الموت على كيانه السفلي ثم يوهَب حياة جديدة تنعكس فيها الأنوار الإلهية في كل حين وآن.

كذلك يوهَب جبينُه نورا لا يُعطاه أحد إلا عُشّاق الله، وببعض المناسبات الخاصة يلمع هذا النور لدرجة يشعر به الكافر أيضا، وخاصة حين يؤذَى هؤلاء الناس ويتوجهون إلى الله تعالى من أجل نصرته ﷻ. فإن وقت الإقبال على الله يكون وقتا خاصا لهم فيتجلى نور الله في جبينهم.

كذلك توضَع البركة في أيديهم وأقدامهم بل في جسدهم كله، فالثوب الذي يلبسونه يصبح مباركا. وإن لمسوا شخصا بيدهم تسبب في زوال أمراضه الروحانية والجسدية في كثير من الأحيان.

كذلك يبارك الله ﷻ في أماكن إقامتهم فيُصان ذلك المكان من البلايا وتحميه الملائكة، وتوضع البركة والخصوصية في مدينتهم وقريتهم، ويُبارك في التراب الذي تطأه أقدامهم.

---

* *إشارة إلى الجذع الذي كان النبي ﷺ يستند إليه وهو يخطب. (المترجم)*

كذلك تتخذ كافة أمانيهم صبغة النبوءة في معظم الأحيان، أي حين تنشأ في أنفسهم رغبة عارمة في أكل شيء أو شربه أو ارتدائه أو رؤيته تتخذ الأمنية نفسها صبغة النبوءة. وحين تتولد في قلوبهم رغبة شديدة في شيء قبل الأوان يتهيأ لهم ما رغبوا فيه.

كذلك إن رضاهم وسخطهم أيضا يحمل في طياته صبغة النبوءة. فإذا رضوا بشخص بشدة كان ذلك بشرى ارتقائه في المستقبل، والذي سخطوا عليه بشدة كان دليلا على انحطاطه ودماره في المستقبل، لأنهم لكونهم فانين في الله يصبحون في كنف الله، فيصير رضاهم رضا الله وغضبهم غضب الله، ولا تطرأ عليهم هذه الحالة بإجهاد النفس بل من عند الله تعالى. كذلك إن دعاءهم وتوجههم أيضا لا يكون مثل الأدعية والتوجهات العادية بل يحمل في طياته تأثيرا قويا.

لا شك أنهم إذا وجهوا انتباههم – باستيفاء الشروط – لإزالة البلاء فإن الله يرفعه، سواء كان نازلا على شخص واحد أو أكثر، أو على بلد أو مِلك من الملوك، إلا إذا كان القضاء مبرما غير قابل للرد. والأصل في ذلك أنهم يفنون وجودهم فيحصل التوافق في معظم الأحيان بين إرادتهم وإرادة الله، ولكن عندما يتوجه انتباههم بتركيز وشدة إلى رفع بلاء ويتسنى لهم الإقبال على الله بالألم والحرقة المطلوبة فإن الله تعالى يستجيب لهم حسبما جرت سنته، ولا يرد دعاؤهم. وفي بعض الأحيان لا يُستجاب دعاؤهم لإثبات كونهم عبادا حتى لا يُعَدّوا في نظر الجهال شركاء لله. ولو حلَّ البلاء بغتة وظهرت بسببه آثار الموت، فإن من مقتضى الأدب لدى المقبولين في حضرة الله أنهم يمتنعون عن الدعاء في هذه الحالة ويصبرون، لأن مِن سنة الله بوجه عام أن البلاء لا يؤجَّل. إن أفضل وقت للدعاء هو قبل ظهور أمارات اليأس والقنوط بوضوح تام، وقبل ظهور العلامات الدالة صراحةً على أن البلاء صار على الأبواب، بل قد حلّ إلى حد ما، لأن من سنة الله أنه إذا ما أظهر إرادته في إنزال البلاء فلا يردها.

صحيح تماما أن معظم أدعية المقبولين تُستجاب، بل إن أكبر معجزاتهم هي استجابة الدعاء؛ فعندما يتولد في قلوبهم اضطراب شديد عند حلول مصيبة يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء باضطراب فيستجيب الله لهم. عندها تصبح يدهم كأنها يد الله. إن الله تعالى مثل كنـــز مخفي ويُري وجهه بواسطة المقبولين الكاملين. إن آيات الله تظهر حين يؤذَى المقبولون. كلما تجاوز إيذاؤهم الحدود، ترقَّبوا قرب آية من الله، إذ هي على الأبواب، لأنهم قوم يحبهم الله تعالى لدرجة تفوق حب المرء ابنَه العزيز عليه. والذين يصبحون لله قلبا وقالبا يُري الله لهم عجائب الأمور ويُري قوته كأسد هبّ من رُقاده. إن الله خفي ويُظهره هؤلاء، وهو مستور في ألوف الحجب ويكشف عن وجهه هؤلاء القوم.

يجب أن تتذكروا أيضا أن الفكرة بأن كافة أدعية المقبولين مـــستجابة حتمـــا خاطئة تماما. بل الحق أن علاقة الله مع المقبولين إنما هي علاقة صـــداقة، ففـــي بعض الأحيان يستجيب أدعيتهم وأحيانا أخرى يريد منهم أن يخضعوا لمشيئته. وهذا ما يحدث في الصداقة كما ترون، إذ يخضع الصديق مرة لإرادة صـــديقه ويعمل حسب مشيئته، ثم يأتي وقت حين يريد من صـــديقه أن يخـــضع هـــو لإرادته. إلى ذلك يشير الله تعالى في القرآن الكريم في ذِكْر وعـــده للمـــؤمنين باستجابة دعائهم فيقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وفي موضع آخـــر يعلّـــم الصبر والرضا بقضائه وقدره فيقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُـــوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَـــابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ فبقراءة هاتين الآيتين معا تتبين بجلاء سنة الله في الأدعية وطبيعة العلاقة بين الرب وعبده.

أرى من المناسب أن أقول مكررا: ينبغي ألا يظن جاهل أنه ما دام الآخرون أيضا يرون الرؤى والكشوف ويتلقون إلهامات ويشتركون في معظم ما جاء في هذا الكتاب حول الكاملين إيمانا وحبا لله والحائزين على الدرجة الثالثة؛ فلا وجه للتمييز بين الفريقين.

فمع أننا دحضنا هذه الوساوس مرارا وتكرارا ولكن مع ذلك نقول مرة أخرى إن هناك فرقا كبيرا بين المقبولين وغيرهم، وقد ذكرنا بعضه في هذا الكتاب أيضا. أما الفرق الكبير من حيث الآيات السماوية فهو أن عباد الله المقبولين يُغرَقون في أنوار سبحانية، وتُحرَق نفسانيتهم بنار الحب، ويكونون غالبين على غيرهم في كل شؤونهم كيفًا وكمًّا، وتظهر لتأييدهم ونصرتهم آيات الله بكثرة، بحيث لا يسع أحدا في الدنيا أن يأتي بنظيرها، لأنهم، كما سبق أن ذكرنا، مظاهر كاملة لإظهار وجه الله تعالى، ويُظهرون للناس الإله الذي يكون خافيا، والله تعالى بدوره يُظهرهم.

لقد سبق أن قلنا إن الحائزين على نصيب من الآيات السماوية على ثلاثة أنواع: أولا: أولئك الذين ليست فيهم ميزة ذاتية، ولا علاقة لهم مع الله تعالى، بل يرون –بسبب بُنية أدمغتهم على هذا المنوال– رؤى صالحة وكشوفا صادقة لا توجد فيها أمارات القبول والحب ولا تنفعهم شيئا، وإنّ ألوفا من الأشرار وسيئي التصرفات والفساق والفجار يشاركونهم في تلك الرؤى والإلهامات التي تفوح نتنًا. ويلاحَظ في كثير من الأحيان أن سلوكياتهم لا تكون محمودة رغم تلقيهم الرؤى والإلهامات، أو على الأقل تكون حالتهم الإيمانية ضعيفة جدا، حتى أنهم لا يقدرون أن يدلوا بشهادة حق ولا يخافون الله كما يخافون الدنيا. ولا يقطعون علاقتهم مع الأشرار من الناس ولا يستطيعون أن يشهدوا شهادة صادقة خشيةَ أن يسخط بسببها مَن كان مِن كبار الناس، وفيهم كسل وتهاون في الأمور الدينية إلى درجة كبيرة، وهم غارقون في هموم الدنيا ليل نهارَ،

ويساندون الكذب والزور عمدا، ويتركون الحق ويرتكبون الخيانة في كل خطوة.

وقد وُجدت في بعضهم عادة أسوأ من ذلك بأنهم لا يتورعون عن الفسق والفجور ويرتكبون كل عمل غير مشروع لكسب الدنيا. كما تكون الحالة الأخلاقية لبعضهم منحطة جدا ويكونون تجسيدا للحسد والبخل والعُجب والكبر والغرور، ويصدر عنهم أعمال دنيئة من كل نوع وتوجد فيهم أنواع من الخبث المخجل. والغريب في الأمر أن بعضهم لا يرون إلا رؤى سيئة وتتحقق أيضا. وكأن أدمغتهم لم تخلق إلا لرؤية الرؤى السيئة والنحسة. لا يرون رؤى فيها خير لهم تُصلح دنياهم أو ينالون مبتغاهم، ولا يرون رؤى فيها بشرى لغيرهم. ومَثَلُ رؤاهم – من الأنواع الثلاثة التي ذُكرت سابقا – كمن يشاهد دخانا من بعيد ولا يرى ضوء النار ولا يشعر بحرارتها؛ لأن أناسا مثلهم ليست لهم مع الله تعالى علاقة قط، وليس نصيبهم من الأمور الروحانية إلا الدخان الذي لا ضوء معه.

النوع الثاني من الذين يرون الرؤى أو يتلقون الإلهامات هم أولئك الذين لهم صلة مع الله تعالى إلى حد ما ولكنها ليست كاملة. فمَثَلُ رؤاهم أو إلهاماتهم – من الناحية المادية – كمن يرى ضوء النار من بعيد في ليل حالك الظلام شديد البرودة فيستفيد من الضوء بحيث لا يسلك سبيلا فيه حُفَرٌ وأشواك وحجارة وأفاعٍ ووحوش ضارية، ولكن هذا القدر من الضوء لا ينقذه من البرد والهلاك. وإذا لم يصل إلى الدفء حول النار لهلك كما يهلك السالك في الظلام.

أما النوع الثالث من أصحاب الرؤى والإلهام فيشمل الذين تكون رؤاهم وإلهاماتهم شبيهة بالمشهد المادي؛ حيث يرى ضوءَ النار كاملا في ليل حالك الظلام شديد البرودة ويمشي في ضوئها، وليس هذا فحسب، بل يدخل أيضا في محيط حرارتها ويحتمي من ضرر البرد كليا. وهذه الدرجة ينالها أولئك الذين يحرقون لباس شهوات النفس بنار حب الله تعالى ويختارون حياة المرارة من

أجله. إنهم يرون الموت أمامهم ويختارونه لأنفسهم مسرعين. ويقبلون في سبيل الله كل ألم ومرارة، ويصبحون لنفوسهم كالأعداء ويسلكون مسالك معادية لها ويظهرون قوة إيمانية بحيث يتعجب بإيمانهم حتى الملائكة ويستغربون. إنهم أبطال الروحانية، وهجمات الشيطان كلها لا تساوي أمام قوتهم الروحانية شيئا. إنهم أوفياء مخلصون ورجال صادقون لا تضلهم ملذات الدنيا وإغراءاتها، ولا يصرفهم حب الأولاد أو الزوجة عن حبيبهم الحقيقي. فباختصار، لا تخيفهم مرارة الدنيا ولا تصرفهم أهواء النفس عن الله تعالى ولا تحول علاقة بينهم وبين علاقتهم مع الله.

هذه هي الدرجات الثلاث للمراتب الروحانية: أولها تسمى علم اليقين، والثانية عين اليقين والحالة الثالثة المباركة والكاملة تُسمَّى حق اليقين. ولا تكتمل معرفة الإنسان ولا تتطهر من الشوائب ما لم تصل إلى حق اليقين، لأن حالة حق اليقين لا تقتصر على المشاهدات فقط، بل تطرأ على قلب الإنسان فتصبح حاله. فيدخل الإنسانُ نار حب الله المضطرمة ويفنى وجوده النفسي كليا. وفي هذه المرحلة تتحول معرفة الإنسان من القال إلى الحال، وتحترق الحياة السفلية تماما وتصبح رمادا، فيتربع ذلك الإنسان في حضن الله. وكما أن الحديد عندما يدخل النار يصير مثلها تماما وتبدأ صفات النار بالظهور فيه، كذلك فإن الإنسان الحائز على هذه الدرجة يتصف بصفات الله بصورة ظلية، ويفنى في مرضاة الله تعالى بطبيعته كأنه يتكلم من خلاله ﷻ ويبصر ويسمع من خلاله ويمشي بواسطته وكأنه ليس في حلته إلا الله ﷻ، وتُغلَب الأهواء البشرية تحت التجليات الإلهية. ولما كان هذا الموضوع دقيقا للغاية وليس مما يسهل فهمه على عامة الناس لذا نتركه هنا.

ويمكن أن نصور المرتبة الثالثة التي هي الأعلى والأكمل بأسلوب آخر ونقول إن مَثَلَ وحيٍ كاملٍ – وهو النوع الثالث من الأنواع الثلاثة – ينـــزل على شخص كامل كمثل ضوء الشمس وشعاعها الذي يقع على مرآة نقية موضوعة

مقابل الشمس تماما. ومعلوم أن ضوء الشمس هو هو ولكن بسبب الاختلاف في المظاهر يُغيِّر كيفية ظهوره؛ فعندما تقع أشعة الشمس على قطعة أرض كثيفة ليس على سطحها ماء نقي بل تراب أسود قاتم وسطحها أيضا غير مستوٍ فإن الشعاع المنعكس يكون ضعيفا جدا، وخاصة إذا حالت بين الشمس والأرض غيوم. ولكن عندما يقع الشعاع نفسه الذي لا تحول دونه غيوم على ماء نقي لامع كمرآة نقية فإن قوته تظهر عشرة أضعاف الشعاع العادي حتى أن العين لا تحتمله.

كذلك حين ينـــزل الوحي على نفس زكية ونقيّة من كل الشوائب فإن نوره يظهر بصورة تفوق العادة، وتنعكس فيها (أي النفس) الصفات الإلهية بصورة كاملة، ويظهر وجه الله الأحد كاملا. فيتبين من هذا البحث أن ضوء الشمس عند طلوعها يقع على كل مكان طاهرا كان أم نجسا حتى إن المرحاض المليء بالبراز أيضا يناله نصيبه، إلا أن الفيض الكامل من هذا الضوء تناله المرآة النقية أو الماء الصافي الذي بمقدوره أن يعكس صورة الشمس بسبب نقائه. وبما أن الله تعالى ليس بخيلا فإن كل واحد ينال نصيبا من نوره، ولكن الذين يتخلون عن أهوائهم ويصيرون أتم مظاهر الله ﷻ ويدخل الله فيهم بصورة ظلية، فإن حالتهم تختلف عن الجميع. كما ترون أن الشمس مع كونها في السماء فإنها حين تقابل ماءً نقيًّا أو مرآة صافية تبدو كأنها موجودة في الماء أو المرآة، ولكنها في الحقيقة ليست في الماء أو المرآة بل بسبب نقائهما وجلائهما يُخَيَّلُ إلى الناس أن الشمس فيهما.

باختصار، إن أنوار الوحي الإلهي لا تقبلها بوجه أتم وأكمل إلا النفس التي نالت التزكية على وجه أتم وأكمل. إن تلقي الإلهام والرؤى في حد ذاته لا يدل على ميزة أو كمال ما لم تحظَ النفس – بسبب الحصول على التزكية التامة – بحالة يتم فيها انعكاس الأنوار، وما لم تُظهر فيها وجه المحبوب الحقيقي ﷻ. فكما أن رحمة الله العامة قد وهبت الجميع، إلا ما شذ وندر، العينين والأنف

والأذن وحاسة الشم والقوى الأخرى كلها، ولم يبخل بها على قوم، كذلك لم يحرم الله ﷻ قوما في أي زمن من زرع القوى الروحانية فيهم. وكما ترون أن ضوء الشمس يقع في كل مكان ولا يخلو منه مكان سواء أكان كثيفا أو لطيفا، كذلك الحال بالنسبة إلى قانون الطبيعة المتعلق بالشمس الروحانية، فلا يحرم من نورها مكان كثيف ولا لطيف. صحيح أن ذلك النور يعشق قلوبا نزيهة ونقية. فحين تلقي الشمس الروحانية بنورها على أشياء نقية فهي تُظهره فيها بالكامل إلى درجة تصوِّر وجهَها فيها. كما ترون الشمس حين تأتي مقابل الماء النقي أو المرآة النقية تظهر فيها صورتها الكاملة إلى درجة أنها تتراءى في الماء النقي أو المرآة الصافية كما تتراءى في السماء دون أدنى فرق.

فلا كمال للإنسان من الناحية الروحانية أكبر من أن يحظى بصفاء يصل إلى درجة بحيث تتراءى فيه صورة الله تعالى. فيشير الله في القرآن الكريم إلى هذا الأمر ويقول: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والظاهر أن الصورة تكون خليفة للأصل وتنوب عنه، لذا حيثما وكيفما تكون الأعضاء والملامح في الأصل، فهي تظهر في الصورة كذلك تماما. لقد ورد في التوراة والحديث الشريف أيضا أن الله تعالى قد خلق الإنسان على صورته، والمراد من الصورة هنا هو التشابه الروحاني نفسه. وواضح أنه حين يقع ضوء الشمس على مرآة صافية فلا تتراءى فيها الشمس فقط، بل تُظهر المرآة صفاتها أيضا، ومنها انعكاس ضوئها إلى غيرها. والحال نفسها بالنسبة إلى صورة الشمس الروحانية، فحين يقبلها القلب النقي بصورة انعكاسية تخرج من ذلك القلب أيضا أشعة كأشعة الشمس وتنوِّر الأشياء الأخرى، وكأن الشمس كلها تدخله بكل قوة وعظمة.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالانتباه، ألا وهي أن الناس من النوع الثالث الذين لهم علاقة كاملة مع الله تعالى ويتلقون وحيا كاملا خالصًا، لا يستوون من حيث استقبال الفيوض الإلهية، كما لا تتساوى دائرة قواهم الفطرية، بل منهم مَن تكون دائرة قوته الفطرية أضيق، ومنهم مَن تكون دائرته أوسع منها، ومنهم مَن تكون دائرته أوسع كثيرا، وهناك مَن تفوق سعة دائرته التصورَ والخيال. يحظى بعض الناس بعلاقة قوية مع الله تعالى، وبعضهم علاقتهم معه ﷻ أقوى، ومنهم مَن لا تدرك الدنيا طبيعة علاقتهم معه، ولا يصل كنهَها عقل. إنهم يغرقون في حب محبوبهم الأزلي فلا تبقى ذرة من وجودهم. وكل هؤلاء الحائزين على تلك المراتب لا يسبقون دائرة قواهم الفطرية بحسب الآية: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فلا يقدر أحد أن ينال نورا أكثر من قوته الفطرية ولا يسعه أن يعكس في نفسه صورة روحانية للشمس النورانية أكثر من قوته الفطرية. والله تعالى يُري كل شخص وجهَه بحسب قدرته الفطرية، فيصغر هذا الوجه مرة ويكبر أخرى بسبب النقص أو الازدياد في القوى الفطرية. فمثلا إن وجها كبيرا يبدو صغيرا في مرآة مقعرة، والوجه نفسه يبدو كبيرا في مرآة محدّبة. ولكن سواء أكانت المرآة مقعرة أو محدّبة فإنها تُري كافة ملامح الوجه. والفرق الوحيد هو أن المرآة الصغيرة لا تستطيع أن تُري أبعاد الوجه كاملة. فكما يحدث النقص أو الزيادة في حالة المرآة المقعرة أو المحدّبة كذلك تحدث التغييرات في الله تعالى – مع كونه قديما غير متبدّل – بحسب قدرة *(الاستقبال)* لدى مختلف الناس. وتظهر للعيان فوارق كبيرة من حيث ظهور صفاته ﷻ فيبدو كأن الله الذي هو إله زيدٍ هو غير إله بكر وأن إله خالد يختلف تماما عن إله زيد وبكر. والحق أن الإله واحد وليس هناك ثلاثة آلهة، لكن يظهر شأنه بصور مختلفة بسبب تجلياته المختلفة. إن إله موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام

إله واحد وليس ثلاثة، ولكن الإله نفسه يظهر في ثلاث صور من حيث تجلياته المختلفة. ولما كان نطاق قدرة موسى عليه السلام مقصورا على بني إسرائيل وفرعون فقط فقد اقتصر تجلي القدرة الإلهية أيضا على هذا الحد. ولو كانت نظرة موسى ممتدة إلى كافة بني آدم في ذلك الزمن والأزمنة المستقبلية كلها لما كان تعليم التوراة محدودا وناقصا كما هو الحال الآن.

كذلك إن نطاق قدرة عيسى عليه السلام كان مقصورا على بضع فِرق اليهود التي كانت بين ظهرانيه آنذاك، ولم تكن لمواساته علاقة مع الأقوام في الأزمنة المقبلة؛ لذا فقد اقتصر تجلي قدرة الله في دينه على قدر دائرة قدرته، وانقطع الإلهام والوحي الإلهي في المستقبل. ولما كان تعليم الإنجيل أيضا لإصلاح الفساد العملي والأخلاقي في اليهود فقط ولم تكن نظرته ممتدة إلى مفاسد كل العالم، فقد عجز تعليمه عن الإصلاح العام، ولكنه أصلح سوء أخلاق اليهود الذين كانوا بين ظهرانيه آنذاك. ولم تكن للإنجيل علاقة مع سكان البلاد الأخرى أو الذين كانوا سيأتون في الأزمنة اللاحقة. لو كان الإنجيل يُعنى بإصلاح كل الفِرق وطبائعهم المختلفة لما أتى بالتعليم الذي نجده حاليا. ولكن الأسف كل الأسف أن تعليم الإنجيل كان ناقصا من ناحية، ومن ناحية ثانية ألْحَقَتْ الأخطاءُ المحدَثة أضرارا فادحة به؛ إذ جُعل إنسانٌ عاجزٌ إلـــهًا، وأوصِد نهائيا بابُ مساعي الإصلاح العملي بإيجاد مسألة الكفارة المختَلَقة.

والآن ابتُليت الأمة المسيحية بشقاوة مضاعفة؛ أولا: لا يمكن أن يتلقوا العون من الله تعالى بالوحي والإلهام لأن الإلهام قد انقطع. وثانيا: لا يستطيعون أن يتقدموا إلى الأمام لأن الكفارة وضعت حدا للمجاهدات والسعي والجهد. ولكن الإنسان الكامل الذي نزل عليه القرآن لم تكن نظرته محدودة ولم يوجد أي قصور في مواساته وتعاطفه العام، بل كان قلبه متحليا بمواساة كاملة من حيث الزمان والمكان، لذا نال نصيبا كاملا من التجليات الإلهية. فصار ﷺ خاتَم الأنبياء، ولكن ليس بمعنى أنه لن يُستمَدّ منه فيضٌ روحاني في المستقبل،

بل بمعنى أنه صاحب الخاتَم، فلن ينال أحد فيضا إلا بفضل خاتَمه. ولن يُغلَق باب المكالمة الإلهية ومخاطبتها أبدا على أمته إلى يوم القيامة. وليس هناك نبي صاحب الخاتم إلا هو ﷺ. وهو الوحيد الذي يمكن أن توهب بفضل خاتمه، النبوةُ التي يُشترط لصاحبها أن يكون من أمته ﷺ. ولم يترك إقدامُه ومواساته الأمةَ في حالة ناقصة.[٥] ولم يُرد ﷺ أن يبقى باب الوحي الذي هو الأساس لنيل المعرفة مغلقا عليهم. نعم، قد أراد من أجل التأكيد على ختم رسالته أن يتم الحصول على فيض الوحي بواسطة اتِّباعه ﷺ وأن يُغلق باب الوحي على الذي ليس من الأمة. فبهذا المعنى جعله الله تعالى خاتَم الأنبياء. فتقرر إلى يوم القيامة أن الذي لا يثبت كونه من الأمة من خلال اتّباعة الصادق ولا تفنى نفسه كليا في متابعته ﷺ فلن ينال وحيا كاملا إلى يوم القيامة، ولن يكون ملهما كاملا، لأن النبوة المستقلة قد انتهت عند النبي ﷺ. أما النبوة الظلية التي معناها تلقي الوحي بالفيض المحمدي وحده فهي باقية إلى يوم القيامة، لكي لا يُغلق باب رقي الناس ولا تمحى من الدنيا فكرة أن قدرة النبي ﷺ شاءت أن تبقى أبواب المكالمة والمخاطبة الإلهية مفتوحة إلى يوم القيامة، وألا تُفقَد المعرفة الإلهية التي هي مدار النجاة.

لن تعثروا على حديث صحيح يقول إنه سيأتي بعده ﷺ نبي وهو ليس من الأمة، أي ليس مستفيضا من فيضه ﷺ. ومن هنا يستبين خطأ الذين يقولون

---

[٥] يمكن أن ينشأ هنا سؤال طبيعي أنه قد خلا في أمة موسى أنبياء كثيرون، وهذا يستلزم كونه عليه السلام أفضل. والجواب هو أن كافة الأنبياء الذين خلوا قد اصطفاهم الله مباشرة ولم يكن لموسى عليه السلام أي دخل في ذلك. أما هذه الأمة فقد كان فيها ألوف من الأولياء ببركة اتّباع النبي ﷺ، كما كان مَن هو مِن الأمة ونبي أيضا. ولا يمكن أن يوجد في أي نبي نظير لهذا الفيض الكثير. لو تركنا الأنبياء الإسرائيليين جانبا لوجدنا معظم الناس في الأمة الموسوية ناقصين. وفيما يتعلق بالأنبياء فقد ذكرنا من قبل أنهم لم ينالوا من موسى عليه السلام شيئا بل جُعلوا أنبياء مباشرة. أما في هذه الأمة فقد جُعل ألوف من الناس أولياء بسبب الاتباع وحده. منه.

بغير وجه حق بعودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا، وقد تبيَّنتْ ببيان عيسى عليه السلام نفسه حقيقةُ عودة النبي إيليا* ولكنهم لا يعتبرون بعد ذلك أيضا. الحق أن المسيح الموعود المقبل – الذي ذكرته الأحاديث، وقد ذُكرت علامته في الأحاديث نفسها – سيكون نبيا ومن الأمة أيضا. فهل يمكن لابن مريم أن يكون من الأمة؟ ثم مَن الذي سيُثبت أنه لم يتلق النبوة مباشرة بل نالها بواسطة اتّباعه النبيَّ ﷺ؟ هذا هو الحق، وإن تولَّوا فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. فمن غير المعقول تماما – مهما تمت المحاولة لإيجاد تفسير – أن يُبعث بعد رسول الله ﷺ نبي يسعى إلى الكنائس حين يتوجه الناس إلى المساجد للصلاة. وعندما يقرأ الناس القرآن الكريم سيفتح هو الإنجيلَ، وحين يستقبل الناس القبلة عند العبادة فإنه سيتوجه إلى بيت المقدس، وسيشرب الخمر ويأكل الخنزير ولا يعير أدنى اهتمام لما أحلَّه الإسلام أو حرّمه. فهل يجوّز عقل أنه لم يبق للإسلام إلا أن يرى طامة كبرى بمجيء نبي بعد رسول الله ﷺ، ليحطِّم بنبوته المستقلة ختمَ نبوته ﷺ، وينزع منه فضيلة كونه خاتم الأنبياء، ويكون حائزا على مقام النبوة بصورة مباشرة وليس بواسطة اتّباعه النبي الأكرم ﷺ؟ وتكون حالته العملية معارضة للشريعة المحمدية ويوقع الناس في الفتنة بمعارضته الصريحة

* لقد اختلق النصارى مسألة عودة عيسى عليه السلام لمصلحتهم فقط لأنه لم تظهر في أثناء بعثته الأولى أية آية تدل على ألوهيته، بل ظل يتحمل الأذى وبدى منه الضعف دائما. فاختلقوا هذا الاعتقاد ليُري آية ألوهيته عند مجيئه الثاني ويعوض ما فات، ولكي تُلقى الأستار على وقائع بعثته الأولى. ولكن قد آن الأوان حيث بدأ المسيحيون أنفسهم يتخلون عن هذا الاعتقاد. إنني واثق من أنه حينما تتقدم عقولهم أكثر سوف يتركون هذا الاعتقاد بكل سهولة. كما أن الجنين لا يمكن أن يبقى في الرحم بعد اكتمال نموه كذلك سيخرجون هم الآخرون أيضا من مشيمة الحجاب والجهل. منه.

للقرآن الكريم، ويسيء إلى الإسلام؟ اعلموا يقينا أن الله تعالى لن يفعل هذا.◈ لا شك أن كلمة "نبي" قد وردت في الأحاديث مقرونةً مع المسيح الموعود ولكن وردت أيضا إلى جانب ذلك كلمات تشير إلى كونه من الأمة. ولو لم تُذكر هذه الكلمات لاضطررنا إلى الاعتراف – رغم النظر إلى المفاسد المذكورة آنفًا– أنه لا يمكن أن يأتي بعد رسول الله ﷺ نبي مستقل، لأن مجيء شخص مثله يتنافى صراحة مع ختم النبوة. أما القول إنه سيُجعَل من الأمة، ثم يُعتبَر هذا الشخص الحديثُ العهد بالإسلام مسيحا موعودا فإن هذا القول يمس بكرامة الإسلام إلى درجة كبيرة. فما دام متحققا من الأحاديث أنه سيكون هناك يهود في هذه الأمة فمن المؤسف حقا أن يكون اليهود من هذه الأمة ويأتي المسيح من خارجها. هل يصعب على من يخشى الله أن يفهم – كما يطمئن قلبه وعقله – أنه سيكون في الأمة أناس يسمَّون يهودا وكذلك يكون في الأمة شخص يسمَّى عيسى ومسيحا موعودا؟ فما الحاجة إلى أن يُنَزّل عيسى من السماء، ويُنـــزَع منه زيُّ نبوته المستقلة ويُجعلَ من الأمة؟ ولو قلتم إن ذلك سيكون من باب العقوبة لأن أمته اتخذته إلها لكان هذا الجواب سخيفا، لأن ذلك ليس خطأ عيسى.

لا أقول هذا الكلام من باب الظن والتخمين، بل أقوله بناء على وحي من الله، وأقول حلفا بالله إنه ﷻ قد أخبرني بذلك. والوقت يشهد لي، كما تشهد لي آيات الله تعالى.

◈ إن القول بأن عودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا عقيدة مُجمَعٌ عليها إنما هو افتراء محض. إن إجماع الصحابة رضي الله عنهم كان على الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ثم تكوّنت من بعدهم فِرق مختلفة. فالمعتزلة لا يزالون قائلين بموت عيسى عليه السلام، وكـــذلك بعض كبار الصوفية أيضا يعترفون بموته. ولكن لو ظن أحد من الأمة – قبل بعثة المـــسيح الموعود – بعودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا فلا ذنب له بل هو خطأ اجتهادي فحسب، وقد صدر الخطأ من أنبياء بني إسرائيل أيضا في فهم بعض النبوءات. منه.

وإضافة إلى ذلك، ما دام موت عيسى عليه السلام ثابتا من القرآن الكريم على وجه القطعية، فإن فكرة عودته بديهية البطلان؛ إذ كيف يعود إلى الأرض من لم يصعد إلى السماء بجسده المادي؟

وإذا سألتم عن الآيات التي يثبت بها موت عيسى على وجه القطعية فأوجِّه أنظاركم إلى آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ على سبيل المثال لا الحصر، والقول بأن معنى التوفي هنا هو الرفع إلى السماء بالجسد المادي قول خاطئ وباطل بالبداهة، لأنه يتبين من الآيات القرآنية نفسها أن هذا السؤال يوجَّه إلى عيسى عليه السلام يوم القيامة. وهذا يستلزم أنه يمثل أمام الله تعالى قبل الموت وفي حالة الرفع الجسدي، ثم لن يموت بعد ذلك أبدا لأنه لا موت بعد القيامة، وهذه الفكرة باطلة بداهةً.

وإضافة إلى ذلك فإن إجابته عليه السلام الجازمة يوم القيامة "أني لا أعرف عن قومي شيئا منذ أن رُفعتُ إلى السماء بجسدي المادي" تصبح كذبا صارخا بحسب المعتقد المذكور آنفاً القائل بعودته عليه السلام إلى الدنيا قبل يوم القيامة، لأنه كيف يمكن لمن يأتي إلى الدنيا ويرى أمته معتنقةً الشرك -بل يحاربهم أيضا ويكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم- أن يقول يوم القيامة أنه لا يعرف عن أمته شيئا؟

والادّعاء أن كلمة التوفي إذا وردت في القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام تعني الرفع إلى السماء مع الجسد ولكنها لا تعطي هذا المعنى إذا استُخدمت عن الآخرين، إنما هو ادعاء غريب في حد ذاته. أي أن كلمة "التوفي" إذا وردت في حق أي شخص في العالم فمعناه قبض الروح وليس قبض الجسم، أما إذا وردت في حق عيسى عليه السلام بوجه خاص فتعني الرفع إلى السماء مع الجسد لهو استنتاج غريب، حتى أن سيدنا ومولانا محمدا ﷺ لم يعطَ نصيبا منه، بل هو خاص بعيسى عليه السلام دون غيره من المخلوقات أجمع. والتأكيد على الإجماع على عودة

عيسى عليه السلام إلى الدنيا إنما هو افتراء غريب يفوق الفهم. وإذا كان المراد من الإجماع إجماع الصحابة فهذا اتّهام لهم إذ لم يخطر على بالهم أبدا هذا المعتقد المستحدَث والقائل بعودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا. ولو كان هذا هو اعتقادهم لما أجمعوا باكين على مضمون الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. أي كان النبي ﷺ بشرا رسولا فقط، ولم يكن إلها، والأنبياء كلهم قد خلَوا من الدنيا، فإذا لم يكن عيسى عليه السلام قد خلا من الدنيا لحين وفاة النبي ﷺ ولم يلمسه ملك الموت إلى ذلك الحين، فكيف تراجع الصحابة بعد سماع هذه الآية عن عقيدة عودة النبي ﷺ إلى الدنيا مرة ثانية. يعرف الجميع جيدا أن أبا بكر رضي الله عنه تلا هذه الآية على الصحابة كلهم في مسجد النبي يوم وفاته ﷺ، يوم الاثنين، قبل دفنه ﷺ، وكان جسده الطاهر ما زال موجودا في بيت عائشة رضي الله عنها. فنشأت في قلوب بعض الصحابة بسبب شدة ألم الفراق وسوسة أنه ﷺ لم يمت حقيقةً بل غاب فقط وسيعود إلى الدنيا. فرأى أبو بكر رضي الله عنه هذه الفتنة خطيرة، فجمع الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا لحسن الحظ موجودين جميعا في المدينة، فصعد أبو بكرٍ المنبر وقال ما مفاده: سمعت أن بعضا من أصحابنا يفكرون كذا وكذا، والحق أن النبي ﷺ قد مات وهذا ليس حادثا مفاجئا لنا بل لم يسبقه نبي إلا وقد مات. ثم تلا أبو بكر رضي الله عنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.[٥] أي لقد كان النبي ﷺ بشرا رسولا فحسب وما كان إلها، فكما مات الأنبياء السابقون كلهم كذلك مات هو ﷺ أيضا.

---

[٥] والذي يُخرج عيسى عليه السلام من نطاق الآية: ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ لا بد له من الاعتراف أن عيسى ليس إنسانا، وأن استدلال أبي بكر رضي الله عنه من هذه الآية لا يصح في هذه الحالة لأن عيسى عليه السلام موجود في السماء حيا بجسده بينما قد مات النبي ﷺ. فكيف يمكن للصحابة أن يطمئنوا بهذه الآية؟ منه.

فبكى الصحابة كلهم بسماع الآية وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وأثّرت الآية في قلوبهم كأنها لم تنـــزل إلا في ذلك اليوم. ثم نظم حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ قصيدة جاء فيها:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ففي هذا البيت *(الثاني)* أشار حسان بن ثابت إلى وفاة الأنبياء كلهم، وقال: لا يهمني موت موسى أو عيسى بل إن مأتمنا هو على موت هذا النبي الحبيب الذي فارقنا اليوم وغاب عن أعيننا. فيتبين من هنا أن بعض الصحابة أيضا كانوا يعتقدون خطأ أن عيسى سيعود إلى الدنيا ولكن أبا بكر رضي الله عنه أزال هذا الخطأ بتقديمه الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فكان أول إجماع في الإسلام على أن جميع الأنبياء قد ماتوا.

فالحاصل أنه يتبين من قصيدة الرثاء المذكور أن بعض الصحابة من قليلي التدبر الذين لم تكن درايتهم جيدة –مثل أبي هريرة– كانوا يظنون – نظرا إلى نبوءة مجيء عيسى الموعود– أن عيسى عليه السلام سيعود بنفسه. كما كان أبو هريرة واقعا في هذا الخطأ منذ البداية، وكان يخطئ في أمور كثيرة بسبب بساطته وضعف درايته. فقد أخطأ أيضا في نبوءة دخول صحابي في النار. وكان يستنتج من الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ معنى خاطئا يبعث السامع على الضحك لأنه كان يريد أن يثبت من هذه الآية أن الجميع سيؤمنون بعيسى قبل وفاته، بينما قد ورد في قراءة ثانية للآية نفسها "قبل موتهم" بدلا من "قبل موته". والاعتقاد أنه سيأتي زمان يؤمن فيه الناس كلهم بعيسى عليه السلام يتنافى مع القرآن الكريم أيما منافاة، لأن الله تعالى يقول فيه: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والواضح أنه إذا آمن الناس كلهم بعيسى عليه السلام قبل يوم القيامة فمن سيبقى من معارضيه إلى يوم القيامة؟ ثم يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وواضح أيضا أنه لو آمن اليهود كلهم بعيسى قبل يوم القيامة فهل يبقى أحد من المعادين إلى يوم القيامة؟

إضافة إلى ذلك فإن فكرة إيمان اليهود كلهم بعيسى عليه السلام سخيفة ومنافية للعقل من وجه آخر أيضا، وذلك لكون هذا الاعتقاد منافيا للواقع، لأنه قد مضى على زمن عيسى نحو ألفَي عام ولا يخفى على أحد أنه قد خلا من الدنيا في أثناء هذه الفترة ملايين اليهود ممن كانوا ينكرونه ويشتمونه ويكفِّرونه، فكيف إذن يصح القول بأن كل واحد من اليهود سيؤمن به؟ ولكم أن تحسبوا كم منهم قد مات في غضون ألفي عام في حالة عدم الإيمان، فهل لنا أن نطلق عليهم "رضي الله عنهم"؟

فملخص القول إن إجماع الصحابة كان على موت عيسى عليه السلام، بل على موت جميع الأنبياء. وهو أول إجماع عُقد بعد وفاة النبي ﷺ. وبسبب هذا الإجماع كان الصحابة كلهم يعتقدون بموت عيسى. وللسبب نفسه نظم حسان بن ثابت قصيدة الرثاء المذكورة التي جاء فيها:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

الحق أن الصحابة كانوا عشاقا مخلصين للنبي ﷺ وما كانوا ليحتملوا بحال من الأحوال أن يموت النبي ﷺ ويبقى عيسى الذي جُعل شخصُه أساسا للشرك حيا. فلو علموا عند وفاة النبي ﷺ أن عيسى موجود في السماء حيا بجسده، وأما نبيهم المصطفى ﷺ فقد مات لماتوا هم الآخرون حزنا وكمدا، لأنه ما

كان لهم أن يحتملوا أن يدخل نبيهم الحبيب القبر ويبقى نبي آخر حيا. اللهم صل على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

ما أجهل وما أغبى الاستنتاج من قوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أن عيسى عليه السلام موجود في السماء الثانية بجسده بجنب يحيى عليه السلام! هل الله عز وجل جالس في السماء الثانية وحدها؟ وهل وردت كلمة "الرفع إلى الله" في أي موضع من القرآن الكريم بمعنى الرفع إلى السماء بالجسد؟ وهل يوجد في القرآن الكريم نظير لرفع الجسد إلى السماء؟ ثم هناك آية أخرى في القرآن الكريم مماثلة للآية التي نحن بصددها وهي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ فهل معناها أن يا أيتها النفس المطمئنة اصعدي إلى السماء بالجسد المادي؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن بلعام باعور: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ فهل هذا يعني أن الله تعالى كان يريد أن يرفعه إلى السماء بجسده ولكنه فضّل أن يبقيه على الأرض؟ الأسف كل الأسف على تحريف القرآن الكريم!

يقولون: قد ورد في القرآن الكريم: ﴿ومَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وقد ثبت منه أن عيسى رُفع إلى السماء بجسمه. ولكن كل عاقل يستطيع أن يفهم أن عدم قتل أحد أو عدم صلبه لا يستلزم رفعه إلى السماء بالجسد حتما. ولقد وردت في الآية التي تليها كلمات صريحة: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي لم ينجح اليهود في قتله بل وقعوا في شبهة وظنوا أنهم قتلوه. فما الحاجة لإيقاعهم في الشبهة لكي يُصلَب مؤمن آخر ويُجعَل ملعونا؟[1] أو يُلبَس أحد من اليهود صورة عيسى عليه السلام ويُصلَب؟ ففي هذه الحالة كان ممكناً لهذا الشخص أن يعلن على الملأ أنه

[1] الغريب في الأمر أن أئمة المعبرين في الإسلام حين يعبِّرون رؤية عيسى في المنام يقولون إنه مَن رأى عيسى في المنام فسيتمكن من السفر إلى بلد آخر ناجيا من البلاء وسيهاجر من أرض إلى أخرى. ولا يقولون إنه سيصعد إلى السماء. فانظروا كتاب تعطير الأنام وكتب أئمة آخرين. فهذا جانب آخر لكشف الحقيقة على أولى الألباب. منه

عدو لعيسى عليه السلام ويتخلص من الموت بذكر أسماء أقاربه وعناوينهم، وكان له أن يعلن جهارا أن عيسى قد ألبسه صورته بسحره. ما أغبى هذه الأوهام! لماذا لا يستنتجون من: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أن عيسى لم يمت على الصليب بل أغشي عليه ثم استعاد وعيه بعد أن ظل مغشيا عليه ليومين أو ثلاثة أيام واستخدم "مرهم عيسى" -وهو مذكور إلى يومنا هذا في مئات كتب الطب وكان قد رُكِّب لعيسى عليه السلام- فاندملت به جروحه.

ومن سوء الحظ أيضا أنهم لا ينتبهون إلى سياق هذه الآيات. إن القرآن الكريم حَكَمٌ لرفع الخلافات بين اليهود والنصارى ليحكم فيما شجر بينهم، فكان من واجبه أن يحكم فيما اختلفوا فيه. فكان من الأمور المختلَف فيها قول اليهود إنه قد ورد في التوراة أن مَن علِّق على الخشبة فهو ملعون* ولا تصعد روحه إلى الله بعد موته. فما دام عيسى قد مات على الصليب فلم يُرفع إلى الله ولم تُفتح له أبواب السماء. وقد روّج المسيحيون في زمن النبي ﷺ اعتقادهم هذا، ولا يزال الاعتقاد نفسه رائجا أن عيسى مات وصار ملعونا بموته على الصليب ولكنه حمل اللعنة على عنقه من أجل نجاة الآخرين. وفي نهاية المطاف رُفع إلى الله تعالى ولكن ليس بالجسد المادي بل بالجسد الجلالي الذي كان منـــزهًا عن الدم واللحم والعظام والزوال⊙، وقد حكم القرآن الكريم بين المتخاصمَين وقال إنه خلافٌ للحقيقة تماما، القولُ إن عيسى مات على الصليب أو قُتل حتى يُستنتَج من ذلك أنه ملعون بحكم التوراة، بل الحق أنه أُنقِذ من

---

* *انظر سفر التثنية: الفصل٢١، الفقرة ٢٢-٢٣ (المترجم)*

⊙ إذا كان معنى الآية: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء بالجسد فليخبرنا أحد أين وردت في القرآن الكريم آية تحكم في الأمر المختلف فيه، أي أين الآية التي تقول إن عيسى سيُرفع بعد موته إلى الله كما يُرفع المؤمنون وسيلحق بعد موته بيحيى وغيره من الأنبياء؟ أوَ هل أخطأ الله تعالى فهم الموضوع - والعياذ بالله - إذ كان اليهود يرفضون رفعه الروحاني مثلما يُرفع المؤمنون بعد موتهم ولكن الله فهم شيئا آخر؟ نعوذ بالله من هذا الافتراء على الله، سبحان الله تبارك وتعالى. منه.

الموت على الصليب ورُفع إلى الله تعالى كما يُرفع المؤمنون. وكما يُرفع كل مؤمن إلى الله بعد نيله جسما جلاليا منه ﷻ كذلك رُفع هو أيضا ولحِق بالأنبياء الذين خلوا قبله، كما يُفهَم من كلام النبي ﷺ الذي قاله بعد المعراج إنه كما رأى أجسام الأنبياء الأطهار كذلك تماما وجد عيسى عليه السلام أيضا معهم وعلى هيئتهم ولم ير له جسما غريبا.

فكم كانت القضية واضحة وصريحة أن اليهود كانوا يرفضون الرفع الروحاني فقط، لأن الرفع الروحاني هو الذي يتنافى مع مفهوم اللعنة. ولكن المسلمين بجهلهم جعلوا الرفع الروحاني رفعا جسديا. لا يعتقد اليهود مطلقا أن الذي لا يصعد إلى السماء بجسده المادي ليس مؤمنا، بل ما زالوا يؤكدون إلى اليوم أن الذي لم يُرفع روحانيا ولم تُفتح له أبواب السماء لا يكون مؤمنا. وهذا ما يقوله القرآن الكريم أيضا: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا تُفتح أبواب السماء للكافرين. أما المؤمنون فيقول عنهم: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ فكانت حجة اليهود أن عيسى كافر – والعياذ بالله – لذا لم يُرفع إلى الله. ما زال اليهود موجودين إلى اليوم ولم ينمحوا من وجه الأرض فاسألوهم أنه لو علِّق أحد على الصليب هل يُستنتَج منه أنه لا يمكنه الصعود إلى السماء بجسده المادي ولا يُرفع جسده إلى الله؟ الجهل مصيبة فعلا. إلى أين أوصل المسلمون الأمرَ بجهلهم وأصبحوا ينتظرون عودة شخص ميت، في حين قد حُدِّد في الأحاديث عمرُ عيسى عليه السلام بـــ ١٢٠ عاما. أَلم تنته إلى الآن هذه الأعوام الـــ ١٢٠؟

كذلك خلقوا بجهلهم تناقضا بين القرآن والأحاديث لأن الذي سُمّي في الأحاديث دجالا ذُكر في القرآن الكريم باسم شيطان، كما يقول حكايةً عن الشيطان: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي التمس

الشيطان من الله تعالى ألا يُهلَك ما لم يُحيَ مرة أخرى الأمواتُ الذين ماتت قلوبهم. فقال تعالى: إنك من المنظَرين. فالدجال الذي ورد ذكره في الأحاديث ليس إلا شيطانا سيُقتَل في الزمن الأخير، وهذا ما قاله النبي دانيال كما تبينه بعض الأحاديث أيضا. ولما كانت النصرانية هي المظهر الأتم للشيطان، لذا لم يرد في سورة الفاتحة ذكر الشيطان قط وإنما ورد أمر الاستعاذة بالله من شر النصارى. فلو كان الدجال مفسدا وهو غيرهم لقال الله تعالى في فاتحة القرآن الكريم: "ولا الدجال" بدلا من: ﴿ولا الضالين﴾ وليس المراد من آية: ﴿إلى يوم يُبعثون﴾ بعثة الأجساد لأن الشيطان لن يحيا إلا ما دام بنو آدم أحياء. وصحيح أيضا أن الشيطان لا يقوم بأي عمل بنفسه بل يعمل بواسطة مظاهره. وهؤلاء المظاهر هم الذين ألّهوا الإنسان. وبما أنهم يشكلون حزبا لذا سمِّي هذا الحزب دجالا لأن "الدجال" في اللغة العربية يُطلق على الحزب أيضا. ولو اعتُبر الدجال غير وعّاظ النصرانية الضالين لحصل تناقض؛ وهو أن الأحاديث تبين أن الدجال سيسيطر على الأرض كلها في الزمن الأخير، ويتبين من الأحاديث نفسها أن قوة الكنيسة سوف تتغلب على الأديان كلها. فهذا التناقض لا يزول إلا باعتبارهما شيئا واحدا.

إضافة إلى ذلك يقول الله عالم الغيب في القرآن الكريم عن فتنة النصرانية: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أما الدجال الذي سيدّعي – كما يقول معارضونا – الألوهية بكل قوة وشدة وتكون فتنته أكبر الفتن في العالم كله لم يرد في القرآن الكريم عنه أنه سينشقّ نتيجة فتنته حتى جبل صغير. من اللافت حقا أن يعتبر القرآن الكريم النصرانيةَ أكبر فتنة، بينما يطلب معارضونا دجالا آخر صارخين بأعلى صوتهم.

ثم انظروا إلى خطأ المسيحيين أيضا؛ إنهم جعلوا عيسى عليه السلام إلها من جهة، ويعتقدون أنه ملعون من جهة أخرى، بينما اللعنة أمر روحاني بحسب إجماع أهل اللغة كافة، والملعون هو المردود من حضرة الأحدية، أي الذي لا يمكن رفعه إلى الله تعالى ولا تبقى لقلبه أدنى علاقة حب بالله تعالى أو طاعة، فيتبرأ الله منه ويتبرأ هو من الله، لذا سمِّي الشيطان لعينا. فهل لعاقل أن يجوِّز أن تكون علاقة قلب عيسى عليه السلام مع الله تعالى قد انقطعت تماما، وتبرأ الله منه كليا؟ والغريب في الأمر أن المسيحيين يقولون من ناحية- بناء على الأناجيل- إن حادث عيسى يماثل حادث يونس وإسحاق عليهم السلام، ومن ناحية أخرى يعتقدون بما يتنافى مع هذه المماثلة. هل يسعهم أن يخبرونا فيما إذا كان يونس قد دخل بطن الحوت ميتا وبقي في بطنه ميتا إلى يومين أو ثلاثة أيام. في هذه الحالة ما هو وجه الشبه بين ما حدث ليسوع وما حدث ليونس؟ وأين المماثلة بين الحي والميت؟ وهل للمسيحيين أن يخبرونا فيما إذا كان إسحاق قد ذُبح حقيقةً ثم أُحيي؟ وإلا أين المماثلة بين حادثته وحادثة يسوع؟

يقول يسوع المسيح في الإنجيل: "لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ" (مَتَّى ١٧ : ٢٠)، أما دعاؤه هو من أجل إنقاذ نفسه فقد ذهب كله سدى. فانظروا الآن ما هي حال إيمان يسوع من حيث الإنجيل. ليس صحيحا أبدا أن دعاء يسوع كان من أجل أن يموت على الصليب بدون فزع واضطراب وقلق. هل الدعاء الذي قام به في البستان كان لإزالة الخوف فقط؟ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا دعا عند الصلب قائلا: إيلي إيلي لِمَ شبقتني؟ هل تدل هذه الجملة على أن خوفه كان قد زال عنه عندئذ؟ حتّامَ ينفع التزوير والزيف؟ إن دعاء يسوع يشمل كلمات واضحة وهي: "فلتعبر عني هذه الكأس"، فعبر الله تلك الكأس وهيأ أسبابا كانت كافية لإنقاذه، منها أنه لم يعلَّق على الصليب إلى ستة أو سبعة أيام كالمعتاد، بل أُنزِل عنه فورا. ومن تلك الأسباب أن عظامه لم تكسَر كما كانت

تكسر عظام بقية الناس دائما. ومن المستبعد تماما أن تزهق نفسه نتيجة أذى بسيط.

إن اعتقاد معارضينا أن عيسى عليه السلام صعد إلى السماء بجسده المادي محفوظا من الصلب اعتقادٌ يصبح بسببه القرآن الكريم عرضة لاعتراض شديد؛ لأن القرآن الكريم يدحض في كل مكان دعاوى المسيحيين التي يحاولون بها إثبات ألوهية عيسى، مثل ولادته بلا أب، الأمر الذي يُستدَّل به على ألوهيته، لكن القرآن الكريم يدحض هذه الحجة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإذا كان عيسى قد صعد بالجسد إلى السماء فعلا وسينـــزل منها فهذه ميزة خاصة به وحده ومن شأنها أن توقِع في الخطأ أكثر من ولادته بلا أب. فأجيبوا بالله عليكم، أين قدَّم القرآن الكريم نظيره ثم دحضه. أو هل عجز الله عن إبطال هذه الخصوصية؟

والآن نعود إلى صُلب الموضوع ونقول: إن ما أجمع عليه الصحابة كان اعتقادهم أن الأنبياء كلهم قد ماتوا دون أن يكون أي واحد منهم حيا. هذا هو الاعتقاد الذي مات عليه الصحابة كلهم، وكان هذا الاعتقاد متطابقا تماما مع نص قرآني صريح.

بعد إجماع الصحابة على وفاة المسيح فلا كذبَ أكبرُ من القول إن الأمة أجمعت◈ في وقت من الأوقات على وجود عيسى عليه السلام في السماء حيا بجسده المادي. ومن قال ذلك صدق فيه قول الإمام أحمد بن حنبل بأن الذي يدعي الإجماع على مسألة بعد الصحابة فهو كذاب.

◈ اعلموا أنه لا يثبت بآية قطعية الدلالة أو حديث صحيح مرفوع متصل أن عيسى قـــد رُفع في الحقيقة إلى السماء حيا بجسده المادي. والذي لم يثبت رفعه، فالأمل في عودته أمل فارغ. عليكم أن تُثبتوا أولا صعود عيسى عليه السلام إلى السماء بآية قطعية الدلالة أو حـــديث صحيح متصل مرفوع، وإلا فالعداوة بغير دليل عمل بعيد عن التقوى، منه.

الحق أن الأمة بعد القرون الثلاثة الأولى قد افترقت إلى ٧٣ فرقة، وانتشرت فيهم مئات المعتقدات التي يعارض بعضها بعضاً لدرجة أنهم لم يتفقوا على كلمة واحدة حتى حول عقيدة ظهور المهدي وبعثة المسيح. فإن المهدي عند الشيعة مختفٍ في الغار وبحوزته القرآن الأصلي وسيظهر عندما يُحيى الصحابةُ مرة أخرى فينتقم منهم لسلبهم الخلافةَ. كذلك إن المهدي عند أهل السنة لن يولَد في عائلة معينة على وجه القطعية بحسب معتقدهم، ولن يظهر في زمن عيسى على وجه القطعية. فيقول البعض إنه سيكون من بني فاطمة، ويرى آخرون أنه سيُبعث من بني العباس، ويظن غيرهم بناء على الحديث أنه أحد من الأمة. ويعتقد بعضهم بأنه لا بد من مجيئه في الزمن الوسطي وسيأتي المسيحُ الموعود بعده، ويقدمون الأحاديث على موقفهم. ويقول الآخرون إن المسيح والمهدي ليسا شخصين منفصلين بل المسيح هو المهدي، ويقدمون على موقفهم هذا حديث: "لا المهدي إلا عيسى". وكذلك يعتقد البعض أن ابن صياد هو الدجال✪ وهو مختفٍ وسيظهر في الزمن الأخير، مع أن المسكين قد أسلم ومات على الإسلام وصلّى عليه المسلمون صلاة الجنازة. ويرى البعض أن الدجال أسيرٌ في كنيسة من الكنائس وسيخرج منها في نهاية المطاف. إن هذا القول الأخير كان صحيحا، ولكن المؤسف أن المفسرين أفسدوا معناه مع كونه واضحا صريحا. مما لا شك فيه أن المراد من الدجال هو شبح المسيحية الذي ظل محبوسا في الكنيسة إلى مدة من الزمن وممتنعا عن تصرفاته الدجالية، ولكنه في هذا الزمن الأخير تحرر من الأسر كليا، وفُكّ إساره ليقوم بما كان مقدرا له من هجمات. ويعتقد البعض أن الدجال ليس من بني الإنسان بل هو اسم آخر

✪ لقد ثبت أن ابن صياد قام بالحج وكان مسلما أيضا، ولكن مع كونه مسلما لم يستطع أن يخلِّص نفسه من إطلاق تسمية "الدجال" عليه، منه.

للشيطان.[⊙] ويزعم غيرهم أن عيسى عليه السلام حي في السماء، وهناك بعض فِرق المسلمين مثل المعتزلة الذين يعتقدون بموته أيضا. كما يعتقد بعض الصوفية منذ القِدم أن المراد من المسيح المقبل هو أن شخصا سيُولد في هذه الأمة. فتأملوا الآن في الاختلاف الموجود في الأمة حول المسيح والمهدي والدجال. وكل فرقة تدعي الإجماع على عقيدتها بحسب منطوق الآية: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ والحق أنه عندما تحدث خلافات كثيرة في شريعة ما فإنها تتطلب بصورة طبيعية أن يأتي شخص من الله للحُكم فيها، لأن هذه هي سنة الله من قديم الزمان. فعندما وقعت خلافات كبيرة في اليهود جاء عيسى عليه السلام حَكَمًا لهم. وعندما تعاظمت النـــزاعات بين النصارى واليهود بُعث إليهم سيدنا رسول الله ﷺ حَكَما لهم من الله تعالى.

ففي هذا الزمن مُلئت الدنيا بالخلافات، إذ يقول اليهود شيئا ويقول النصارى شيئا آخر، ومن جانب آخر هناك خلافات داخلية في الأمة المحمدية. أما المشركون الآخرون فيبدون آراء تخالف الجميع. ولقد وُجدت في هذه الأيام مذاهب جديدة ومعتقدات جديدة وكأن لكل شخص مذهبا خاصا به. فكان ضروريا بحسب سنة الله أن يأتي حَكَم للحُكم في هذه الخلافات. فقد سمِّي هذا الحَكَم مسيحا موعودا ومهديا معهودا، أي قد سمِّي مسيحا نظرا إلى تسويته الخلافات الخارجية، وسمِّي مهديا معهودا بناء على تسويته الخلافات الداخلية. مع أن سنة الله في حقه كانت متواترة بحيث لم تكن هناك حاجة لأن يقال في

[⊙] إن هذا الشيطان يُسمى شبح النصرانية بكلمات أخرى. وهذا الشبح كان أســيرا في الكنيسة في زمن النبي ﷺ وكان يطلع على الأخبار عن الإسلام بواسطة "جساسة" فقط. ثم بعد القرون الثلاثة تحرر هذا الشبح بحسب نبوءات الأنبياء وظل يزداد قوة يوما بعد يوم حتى خرج بكل قوة في القرن الثالث عشر من الهجرة. وهذا الشبح سمِّي دجالا، فلــيفهم من كان من الفاهمين. وهذا هو الشبح الذي حذّر الله منه في نهاية سورة الفاتحة في الدعاء: ﴿ولا الضالين﴾. منه.

الأحاديث أن شخصا سيأتي حَكَمًا وسيسمَّى مسيحا، ولكن مع ذلك توجد في الأحاديث نبوءة أن المسيح الموعود الذي سيكون من هذه الأمة سيأتي حَكَما من الله تعالى. أي سيرسله الله لرفع الخلافات الخارجية والداخلية كلها. والاعتقاد الذي سيُثبَّت عليه *(المسيح الموعود)* يكون هو الاعتقاد الصحيح دون غيره، لأن الله تعالى سوف يثبِّته على الصدق والحق. وكل ما يقوله فإنه يقوله على بصيرة، ولا يحقّ لأية فرقة أن تجادله بناء على الاختلاف معه في المعتقدات، لأن المسائل المنقولة التي لم يأتِ التصريح عنها في القرآن الكريم سيكون مشكوكا فيها بسبب الاختلاف في المعتقدات في ذلك الزمن. والمتخاصمون من الداخل أو أصحاب الخلافات من الخارج – بسبب كثرة الخلافات – سيكونون بحاجة إلى حَكَم يظهَر صدقُه بشهادة سماوية كما حدث في زمن عيسى عليه السلام وبعده في زمن النبي ﷺ. وهذا ما سيحدث في زمن الموعود الأخير أيضا.

هنا لا بد من الانتباه إلى سنة الله أنه كلما جاءت نبوءة عن بعثة مرسَل عظيم الشأن صحبها أيضا ابتلاء كامن حتما لبعض الناس. كما كانت هناك نبوءة في كتب اليهود عن عيسى عليه السلام أنه سيأتي حين نزول إيليا من السماء ثانيةً. هذه النبوءة موجودة إلى الآن في كتاب النبي ملاخي، وكانت سبب عثرة كبيرة لليهود، إذ ما زالوا ينتظرون نزول إيليا من السماء ويقولون بأنه لا بد من نزوله قبل أن يأتي مسيحهم الصادق. ولكن ما عاد النبي إيليا إلى الأرض إلى يومنا هذا و لم يأت مسيح ليحقق هذا الشرط.

كذلك كانت هناك نبوءة في التوراة عن النبي ﷺ أنه سيكون من عائلة اليهود، أي من أولاد إبراهيم عليه السلام وسيُبعث فيهم من إخوتهم. وكافة الأنبياء الذين جاءوا في بني إسرائيل فهموا من هذه النبوءة أن نبيَّ آخرِ الزمان سيكون من بني إسرائيل ولكنه (ﷺ) وُلد في بني إسماعيل، الأمر الذي سبب عثرة كبيرة لليهود. لو وردت في التوراة كلماتٌ صريحة تقول إن ذلك النبي سيكون من

بني إسماعيل، وسيولَد في مكة واسمه محمد ﷺ واسم أبيه عبد الله لما وقع اليهود في هذه الفتنة.

ما دام هناك مثالان على أن الله تعالى يريد ابتلاء عباده أيضا نوعا ما في مثل هذه النبوءات، فالعجب كل العجب أن معارضينا – مع وجود اختلاف كثير في الأحاديث الموجودة عند كل فرقة عن المسيح الموعود من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتباره من الأمة بالإجماع – مطمئنون بأن المسيح سينـــزل من السماء حتما، مع أن النـــزول من السماء أمر لا يُعقل في حد ذاته ويتنافى مع نصوص القرآن.✪ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾ فإذا كان رفع البشر إلى السماء بجسده من عادة الله فلماذا رُفض طلبُ الكفار من قريش بذلك؟ ألم يكن عيسى بشرا، والنبي ﷺ بشر؟ ألم يذكر الله عند رفعه عيسى عليه السلام إلى السماء وعده القائل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾؟ وهل تذكَّر قولَه فورا حين طُلب منه رفعُ النبي ﷺ إلى السماء؟ مَن كان لديه علم كتاب الله يعرف جيدا أن القرآن الكريم قد شهد بنصه وفصه بموت عيسى، والنبي ﷺ أيضا شهد الشهادةَ نفسها بفعله أي برؤيته، إذ قد صرّح أنه رأى المسيح عليه السلام في جماعة الأنبياء الأموات. وعلاوة على هاتين الشهادتين هناك شهادة ثالثة وهي شهادتي أنا وهي مبنية على إلهام من الله. فلو لم تظهر لي الآيات من السماء ولم تشهد لي الأرض لكنتُ كاذبا، ولكن إذا ظهرت لي آيات الله وصرّح الزمان بحاجته إليَّ فإن إنكاري بمثابة ضرب اليد على حد سيف بتار.

✪ لا يثبت من أي حديث مرفوع متصل أن عيسى سينـــزل من السماء. أمـــا كلمـــة النـــزول فتُستخدَم للإكرام والإجلال. كقولهم: نزل الجيش بمكان كذا. كـــذلك يقـــال للمسافر: النـــزيل. فمن أقصى درجات الغباوة والجهل الاستدلال أن المراد مـــن كملـــة النـــزول وحدها هو النـــزول من السماء. منه.

لقد وقع الكسوف والخسوف في عهدي أنا. وفي زمني تفشى الطاعون حسبما جاء في الأحاديث الصحيحة والقرآن الكريم والكتب السابقة. وفي زمني أنا اكتُشف مركب جديد.. أي القطار. وفي زمني أيضا وقعت الزلازل المخيفة حسب نبوءاتي. أفليس من مقتضى التقوى إذن ألا يتجاسروا على تكذيبي؟

أقول حلفا بالله إنه قد ظهرت ولا تزال وستظهر في المستقبل أيضا ألوف من الآيات لتصديقي. لو كان ذلك من كيد إنسان لما نال تأييدا ونصرة إلى هذه الدرجة. ومما يتنافى مع مقتضى العدل والإيمان خداعُ الناس بتقديم آية أو آيتين فقط من ألوف الآيات التي ظهرت جليا، والقولُ إن نبوءة كذا وكذا لم تتحقق. أيها الجهال والعَمهون والبعيدون عن العدل والأمانة، هل تُعذَرون عند الله إن لم تفهموا كنهَ تحقق نبوءة أو نبوءتين من بين ألوف منها.* توبوا فإن أيام الله قريبة، والآيات التي ستهزّ الأرض موشكة على الظهور.

هذه آيات الله التي أقدمها، فتفكروا هل في أيديكم حجة للمعارضة؟ لكنكم تقدمون أحاديث يشهد القرآن ضدها وتوجد مقابلها أحاديث أخرى، وقد وقعت الأحداث على عكسها تماما. أين الدجال الذي تُرهبون به؟ أمّا الدجال المذكور في: ﴿ولا الضالين﴾ فيحرز التقدم في الدنيا يوما إثر يوم، وتكاد السماء والأرض يتفطرن بفتنته. فلو كانت في قلوبكم خشية الله لكفاكم التأمل في سورة الفاتحة وحدها. ألا يمكن أن يكون فهمكم نبوءةَ المسيح الموعود خاطئا؟ ألا توجد نماذج هذه الأخطاء في اليهود والنصارى؟ فكيف يمكن ألا تخطئوا أنتم؟ ثم أليس من سنة الله أن يمتحن عباده أحيانا بمثل هذه النبوءات كما امتُحن اليهود والنصارى بالتوراة ونبوءة النبي ملاخي، ونبوءة الإنجيل؟ فلا تخرجوا من دائرة التقوى. هل جاء النبي الأخير من بني إسرائيل أو عاد النبي إيليا إلى الأرض

* لو عُدَّت آيات الله التي ظهرت تأييدا لي إلى اليوم لكانت أكثر من ثلاث مئة آية. فهل من مقتضى تقواهم إثارة الضجة – عن آية أو آيتين فقط اشتبهتا على معاند – وعدم الاستفادة من هذا القدر الهائل من الآيات؟ ألا يوجد لذلك نظير في نبوءات الأنبياء؟ منه.

كما فهم اليهود وأنبياؤهم؟ كلا، بل أخطأ اليهود في فهم كِلا الأمرين. احذروا فأن الله يحذركم في سورة الفاتحة أن تكونوا مثل اليهود. كان اليهود أيضا متمسكين بظاهر كلمات كتاب الله مثل دعواكم، ولكنهم أُخِذوا و لم يُقبل منهم عذرٌ بما لم يقبلوا ما قاله الحَكَم و لم يستفيدوا من الآيات.

والجدير بالذكر أيضا أن النبي ﷺ قد بُعث في القرن السابع بعد عيسى عليه السلام لأن الله رأى انتشار الضلال على نطاق واسع في اليهود والنصارى إلى القرن السابع. فبعث الله النبي ﷺ حَكَما لكِلا القومَين. أما الحَكَم الذي كان مقدرا للمسلمين فقد جُعلت مدته ضعف المدة الأولى. وفي ذلك إشارة إلى أن اليهود والنصارى فسدوا إلى القرن السابع، أما المسلمون فستفسد حالتهم في مدة تقدَّر بضعف تلك المدة وسيُبعث حَكَمهم على رأس القرن الرابع عشر.

أعود إلى صميم الموضوع وأقول، كما قلت من قبل أيضا، إن الوحي الأكمل والأتم من أنواعه الثلاثة هو ذلك الذي يدخل في النوع الثالث من العلم، ويكون متلقيه مستغرقا تماما في الأنوار السبحانية. ويسمى هذا النوع من الوحي "حق اليقين". وقد قلت آنفا إن النوع الأول للوحي أو الرؤيا يوصل صاحبه إلى علم اليقين فقط. كأن يرى أحدٌ دخانا في ليلة حالكة الظلام ويستنتج منه على سبيل الظن أنه قد تكون في ذاك المكان نارٌ. وهذا الاستنتاج لا يكون يقينيا قط، لأنه من الممكن ألا يكون ما رآه دخانا، بل قد يكون غبارا يشبه الدخان، أو قد يكون دخانا ولكنه يخرج من أرض فيها مادة نارية. إذن، فإن هذا العلم لا يخلِّص العاقل من الظنون، ولا يسبب له أي تقدم، بل إنما هو بمثابة فكرة تخطر بباله فقط. فالرؤى والإلهامات التي يتلقاها الحائز على هذه الدرجة من العلم تكون نتيجة تكوين دماغي معين ولا تصحبها حالة عملية.

هذا مثال علم اليقين، ومَن كانت هذه الدرجةُ مصدر رؤاه وإلهاماته سيطر الشيطان على قلبه في معظم الأحيان، وعرض عليه أحيانا رؤى وإلهامات لإضلاله فيعتبر صاحبُها نفسَه – بناء عليها – مقتدى القوم أو رسولهم ويهلك.

وهذا مثل شخص شقي كان من سكان جامون اسمه جراغ دين الذي كان من جماعتي من قبل ولكنه هلك للسبب نفسه؛ فقد تلقى إلهاما من الشيطان أنه رسول ومن المرسَلين، وأن عيسى عليه السلام أعطاه عصا ليقتل بها الدجال، وقد اعتبرني دجالا، فمات مع ابنيه في عز شبابه بالطاعون حسب نبوءة سجلتُها في كتيب "دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء". وقرْب أيام موته كتب مقالا بصورة المباهلة ونشره بذكر اسمي وقال: ليهلك الله مَن كان كاذبا بيننا. فهلك مع ابنيه بالطاعون بتاريخ ٤ نيسان/أبريل عام ١٩٠٦م. فاتقوا الله يا معشر الملهَمين.

والحالة الثانية هي كأنْ يرى أحد ضوءا من بعيد في ليلة حالكة الظلام شديدة البرودة، ولكن الضوء لا يزيل برده وإن كان يساعده على رؤية الطريق. هذه المرتبة تسمى عين اليقين. والعارف الحائز على هذه الدرجة يكون على علاقة مع الله تعالى نوعا ما ولكنها لا تكون كاملة. وفي هذه الدرجة يتلقى صاحبها إلهامات شيطانية بكثرة لأن علاقته مع الله لا تكون بقدر ما تكون مع الشيطان.

وفي الحالة الثالثة لا يرى الإنسان ضوء النار في ليلة حالكة الظلام شديدة البرودة فحسب، بل يدخل أيضا في حلقة النار ويشعر بوجودها في الحقيقة، ويزيل بها برده. فهذه هي الدرجة الكاملة التي لا يجتمع الظن معها. وهذه الدرجة تزيل الفتور والانقباض. هذه الحالة تسمَّى حق اليقين ولا ينالها إلا الكُمَّل الذين يدخلون حلقة التجليات الإلهية فتنصلح حالتهم العلمية والعملية.

لا تبلغ الحالةُ العلمية ولا الحالة العملية كمالهما قبل الوصول إلى هذه الدرجة التي لا يحوزها إلا الذين هم على علاقة كاملة مع الله تعالى، ولا يُطلق مفهومُ "الوحي" حقيقيةً إلا على وحيهم، لأنه يكون خلوا من التصرفات الشيطانية، ولا يكون في درجة الظن، بل يكون يقينيا وقطعيا، وهو نور يُعطَونه من الله تعالى. وترافقهم ألوف البركات ويحظون ببصيرة صحيحة لأنهم لا يرون من بعيد بل يُدخَلون في حلقة النور، وتكون لقلوبهم صلة خاصة مع الله سبحانه وتعالى.

وكما يريد الله لنفسه أن يُعرَف كذلك يريد لهم أيضا أن يعرفهم عبادُه. لذا يُري لتأييدهم ونصرتهم آيات عظيمة، فكل من يبارزهم يهلك، وكلٌّ من يعاديهم يُجعَل ترابا في نهاية المطاف. يبارك الله في كل قولهم وتصرفهم ولباسهم وبيتهم، ويوالي أولياءهم ويعادي أعداءهم، ويسخِّر الأرض والسماء لخدمتهم. وكما لا يسع – بالنظر إلى ما في الأرض والسماء من مخلوقات– إلا الاعتراف أن لها إلها، كذلك نظرا إلى كافة أنواع النصرة والتأييدات والآيات التي يظهرها الله تعالى من أجلهم لا يسع إلا أحدا الاعتراف بأنهم مقبولون في حضرة الله. فيُعرَفون بتلك النصرة والتأييدات والآيات لأنها تكون من الكثرة والجلاء بحيث لا يسع أحدا أن يشاركهم فيها.

وكما يريد الله أن يرسخ حبه في القلوب بصفاته الأخلاقية كذلك يضع في صفاتهم الأخلاقية تأثيرا معجزا فتنجذب إليهم القلوب تلقائيا. إنهم قوم غرباء، فهُم بعد الممات يحيون وبعد الفَقْد ينالون. ويسلكون مسالك الصدق والوفاء بقوة بحيث تعمل لهم سنة الله على وجه أخصّ، وكأن لهم إلـــهًا آخر تماما لا تعرفه الدنيا. فيعاملهم ﷻ معاملة لا يعامل بها أحدا غيرهم قط. فمثلا لما كان سيدنا إبراهيم عبدا صادقا ووفيا لله فقد أعانه ﷻ في كل موطن ابتلاء. وحين ألقي في النار ظلما أبردها الله له. وحين أراد مِلكٌ سيئ الأخلاق سوءا بزوجته أنزل الله بلاء على الأيدي التي أراد بها إتمام نيته السيئة. ثم حين ترك إبراهيم ابنه الحبيب، إسماعيل، بأمر من الله تعالى في واد في منطقة جبلية لا ماء فيه ولا زرع ولا طعام، هيأ الله له من الغيب ماءً وطعاما.

من الواضح أن هناك كثير من الناس يقتلهم الظالمون أو يلقونهم في النار أو يُغرقونهم في الماء ولا يصلهم من الله عونٌ مع كونهم أبرارا؛ منهم مَن يغتصب الخبثاءُ زوجاتهم، ومنهم مَن يموت أولادهم عطشا في الفلاة ولا يُهيَّأ لهم ماءُ زمزم من الغيب. فمن هنا يُفهَم أن معاملة الله مع كل شخص تختلف بحسب طبيعة علاقته معه ﷻ. مع أن المصائب تحل بأحباء الله أيضا ولكن نصرة الله

تكون حليفة لهم بصورة واضحة. ولا تقبل غيرة الله بحال من الأحوال خزيهم وذلتهم، ولا يقبل حبُّه لهم أن يُمحى اسمهم من الدنيا.

وأصل الكرامات أن الإنسان عندما يصبح لله بكل وجوده ولا يبقى بينه وبين ربه حجاب، ويتخطى جميع مراتب الصدق والوفاء التي تحرق الحجب، عندها يُجعَل وارثا لله وقدراته ﷻ، ويُظهر الله تعالى من أجله أنواع الآيات التي يكون بعضها لدفع الشر وبعضها الآخر لإفاضة الخير. ومنها ما يتعلق بنفسه ومنها ما يتعلق بأهله. وغيرها يتعلق بأعدائه والأخرى بأصدقائه. وبعضها يتعلق بمواطنيه، وبعضها ذو طابع عالمي. وبعضها متعلق بالأرض والآخر بالسماء. فباختصار، لا تكاد تكون آية إلا وتُظهَر من أجله. وهذه المرحلة لا تتطلب جهدا مضنيا، ولا حاجة لأي كلام عنها هنا، لأنه لو نال أحد هذه الدرجة في الحقيقة لما وسع الدنيا أن تبارزه قط. ومَن سَقط عليه يَترَضَّض، ومَن سَقَطَ هو عليه يَسْحَقه، لأن يده تصبح يد الله، ووجهه وجه الله، ولا يسع أحدا أن يبلغ مقامه.

والظاهر أن كثيرا من الناس (الأثرياء منهم) يملكون الدراهم والدنانير ولكن لو تجاسروا على منافسة الملك الذي كنوزه منتشرة في الشرق والغرب، فماذا عسى أن تكون نتيجة هذه المنافسة إلا الخزي والهوان؟ لا شك أن أمثال هؤلاء المنافسين يهلكون حتما وستُصادَر دراهمُهم ودنانيرهم القليلة أيضا.

من أسماء الله الحسنى "العزيز" ولا يُكرم بعزته أحدا إلا الذين يفنون في حبه. ومن أسمائه ﷻ "الظاهر" ولا يُنعم أحدا بظهوره إلا الذين هم بمنـــزلة توحيده وتفريده، وفنوا في حبه حتى أصبحوا بمثابة صفاته، فيهبهم نورا من نوره وعلما من علمه فيعبدون هذا الحبيب ﷻ بكل قلبهم وروحهم وجُلِّ محبتهم ويبتغون مرضاته كما يريد.

إن الإنسان يدّعي عبادة الله، ولكن هل يمكن أداء حق العبادة بمجرد كثرة السجود والقيام والركوع؟ أو هل يمكن أن يُعدَّ من عباد الله أولئك الذين

يمرِّرون حبات السُّبحة بكثرة؟ بل الحق أنه لا يمكن أن يؤدي حق العبادة إلا الذي جذبه حب الله حتى يزول وجوده من الطريق نهائيا.

أولا، لا بد من اليقين الكامل بذات الله ثم الاطلاع الكامل على حسنه وإحسانه، ثم تتقوى علاقة الحب معه ﷻ حتى يغلي الصدر بحرقة الحب دائما، وتتراءى هذه الحالة في الوجه على الدوام، وتترسخ عظمة الله في القلب لدرجة تصبح الدنيا إزاءه ﷻ كجيفة. ويرتبط كل نوع من الخوف بذاته ﷻ ويتمتع الإنسان بالألم من أجله، وتكون المناجاة معه مدعاة لراحته ولا يطمئن القلب ولا يستقر له قرار إلا معه تعالى. فإذا تحققت هذه الحالة فهي التي تسمَّى العبادة الحقيقية. ولكن أنّى لها أن تتحقق دون عون الله الخاص. لذا فقد علَّمنا الله تعالى دعاء ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.. صحيح أننا نعبدك يا ربّ ولكن أنّى لنا أن نؤدي حق العبادة ما لم نحظ بعون خاص منك. إن عبادة الله باعتباره المحبوب الحقيقي هي الولاية التي لا مقام بعدها. ولكن هذا لمقام لا يُنال إلا بعونه تعالى. والعلامة على نيله أن تترسخ عظمة الله وحبه في القلب، ويتوكل الإنسان عليه ﷻ وحده ولا يحب إلا إياه، ويؤثره على كل شيء، ويجعل ذكره هدف حياته. وإذا أُمر مثل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه العزيز بيده أو طُلب منه إلقاء نفسه في النار فينفِّذ مثل هذه الأوامر القاسية أيضا بدافع المحبة ويسعى لنيل مرضاة ربه بحيث لا يدخِّر في طاعته جهدا. إن هذا الباب ضيق جدا، وهذا الشراب مُرٌّ شديد المرارة، فقليل هم الذين يدخلون هذا الباب أو يشربون هذا الشراب. تجنب الزنا ليس بالمهمة الكبيرة، وعدم قتل أحد بوجه غير حق ليس من الأمور العظام، والامتناع عن الإدلاء بشهادة الزور ليس بالعمل الجبار، أما إيثار الله ﷻ على كل شيء واختيار أنواع مرارة الدنيا من أجله بحب صادق وحماس حقيقي، بل خلْق الإنسانِ أنواعَ المرارة لنفسه بيده مرتبة لا ينالها إلا الصادقون. وهذه هي العبادة التي أُمر بها الإنسان. والذي يؤدي هذه العبادة يترتب على فعْله هذا فعلٌ من الله، ويسمَّى إنعاما كما يعلِّمنا تعالى في القرآن

الكريم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فمن سنة الله ﷻ أنه حين تُقبَل في حضرته خدمةٌ يترتب عليها إنعام حتمًا. فالخوارق والآيات التي لا يسع الآخرين أن يأتوا بنظيرها هي أيضا إنعامات إلهية تنـــزل على خواص عباده.

ولله در من قال في بيتين – بالفارسية – تعريبهما:

"يا من كان أسير الهوى في حياته كلها، أنّى لك أن تحظى بالنصرة الإلهية مع سواد نفسك. فإن أبديت الصدق مثل موسى فليس غريبا أن يغرق فرعون". *(انتهت الترجمة)*

فملخص الكلام أنه لا ينال أحد إنعامَ وحيٍ مقدس وطاهر دون الوصول إلى الدرجة الثالثة. ولا يفوز بهذا الإنعام إلا الذين يفنى وجودهم وينالون من الله حياة جديدة. إنهم يقطعون علاقات نفوسهم كلها وينشئون علاقة كاملة مع الله تعالى. عندها يصير وجودهم مظهرا للتجليات الإلهية، ويحبهم الله. ومهما أخفَوا أنفسهم أظهرهم الله على الملأ. وتظهر بواسطتهم آيات تؤكد أنه ﷻ يحبهم. لا يسع الدنيا أن تبارزهم في أي شيء، لأن الله يكون معهم في كل موطن، ويد الله تعينهم في كل مجال. تظهر لتأييدهم ونصرتهم ألوف من الآيات. وكل من لا يتوقف عن معاداتهم يُهلَك في نهاية المطاف بخزي كبير، لأن الله يعتبر عدوهم عدوا له. إن الله حليم ويعمل بحِلم، ولكن الذي لا يتوقف عن عداوتهم بل يشمر عن ساعديه لإيذائهم قصدا يصول الله تعالى لاستئصاله كما تصول اللبؤة بغضب وحماس على مَن أراد أن يقتل شبلها ولا تتركه ما لم تمزقه إربا. إن أحباء الله وأولياءه يُعرفون عند المصائب حين يعزم أحد على إيذائهم ويصر على تعذيبهم ولا يتوقف، عندها ينـــزل الله عليه كصاعقة ويحيطه بغضبه كما يحيط الطوفان، ويُظهر سريعا أنه معه. كما ترون أنه لا مجال للاشتباه بين ضوء الشمس وضوء اليراعة. كذلك لا مجال للاشتباه بين النور الذي يُعطَونه والآيات التي تُظهَر لهم والنعم الروحانية التي يُعطَونها

وبين أي شيء آخر. ولا يوجد لهم نظير في أي شخص آخر. الله تعالى ينـــزل عليهم، وقلبُهم يصبح عرشه ويصيرون شيئا آخر تماما لا تدرك الدنيا كنهه.

أما السؤال: لماذا يقوي الله ﷻ العلاقة معهم على هذا النحو، فجوابه أن الله قد خلق فطرة الإنسان على شاكلة وعاء لا يمكن خلوُّه من الحب أيًا كان نوعه، أي أن بقاءه خاليا وفارغا مستحيل. فإذا خلا قلب تماما من حب النفس وأمانيها وحب الدنيا وأمنياتها، وتخلص من شوائب الحب السفلي وحب غير الله، ملأه ﷻ بحبه بواسطة تجليات حسنه وجماله. الدنيا تعاديه، وبما أنها تمضي تحت ظل الشيطان لذا لا يمكن لها أن تحب الصادقَ. ولكن الله تعالى يحمله في حضن عطوفته كما يُحمَل الطفلُ. ويُري له أعمال القوة الإلهية التي برؤيتها تبصر كل عين مبصرة وجهه. فباختصار، إن وجوده يكون مظهرا لله تعالى، وبه يُعلم أن الله موجود فعلا.

والجدير بالذكر أيضا أنه كما تكون رؤى الحائزين على الدرجة الثالثة واضحة تماما، ونبوءاتهم تتحقق أكثر من غيرهم وتكون متعلقة بالأمور العظام ومن الكثرة كأنها بحر زخّار، كذلك تكون معارفهم أيضا أكثر من كافة بني البشر كيفًا وكمًّا. ويعثرون بكلام الله على معارف لا يعثر عليها الآخرون لأنهم يُنصرون بروح القدس. وكما يُعطَون قلبا حيا كذلك يُعطَون لسانا ناطقا. وتخرج معارفهم من ينبوع الحال وليس من وحل القال. توجد فيهم كافة حالات الفطرة الإنسانية الطيبة، لذا يُنصرون بجميع أنواع النصرة. تُفتح صدورُهم ويوهَبون شجاعة غير عادية في سبيل الله. لا يخافون الموت في سبيل الله، ولا يهابون الاحتراق في النار. يرتوي العالَمُ بلبنهم وتتقوى بهم القلوب الضعيفة. قلوبهم فداء ابتغاء مرضاة الله. يصبحون لله وحده فيصبح الله لهم. وحين يخضعون لله بكل قلوبهم يتوب الله عليهم بالمثل فيعلم كل إنسان أن الله يقف معهم في كل موطن. الحق أنه لا يَعرف رجالَ الله إلا الإله القدير الذي ينظر إلى القلوب. فالقلب الذي يجده ﷻ قد أتى إليه حقيقة يُري له أمورا

عجيبة وغريبة، ويقف لنصرته في كل موطن، ويُري له قدرات تكون خافية على الدنيا، ويري له غيرة لا يمكن لقريب أن يُريها لقريب. يرزقه ﷻ علما من علمه وفطنة من فطنته، ويجعله فانيا فيه *(أي في الله)* بحيث تنقطع علاقاته بالناس كافة. فهؤلاء الناس يموتون في حب الله تعالى ويولَدون ولادة جديدة ويرثون وجودا جديدا بعد الفناء. يخفيهم الله عن أعين الأغيار كما هو ﷻ مخفي بنفسه. ومع ذلك يُلقي نوره على وجوههم وينير جباههم فلا يبقون في خفاء. وإذا حلّت بهم مصيبة لا يتقاعسون بل يتقدمون إلى الأمام. ويكون يومهم الحاضر أفضل من يومهم الماضي من حيث المعرفة والحب، وتكون علاقة حبهم في ازدياد مستمر. لا تُردُّ أدعيتهم ولا تضاع لشدة حبهم وتوكلهم وتقواهم لأنهم يفنون في ابتغاء مرضاة الله ويتخلون عن مبتغاهم، فيبتغي الله تعالى أيضا رضاهم. يكونون مختفين في الحجب فلا تعرفهم الدنيا لأنهم يذهبون بعيدا عنها كثيرا. وكل مَن يُبدي عنهم آراء سطحية يهلك. لا يصل كنههم صديق ولا عدو، لأنهم يكونون مستورين تحت رداء الله الواحد الأحد. لا يعرف حقيقتهم الكاملة إلا الذين صاروا في حبه نشوانين. إنهم قوم ليسوا إلها، ومع ذلك ليسوا منفصلين عن الله ولو لحظة واحدة. إنهم أكثر الناس خشيةً لله، وأكثر الناس وفاء لله، وأكثر الناس صدقا وصمودا في سبيله تعالى. إنهم أكثر الناس توكلا على الله ﷻ وأكثرهم ابتغاء لمرضاته وأكثرهم صحبة له ﷻ، وأكثرهم حبا لربهم العزيز. ويصلون في العلاقة بالله تعالى مقاما لا تدركه نظرة الإنسان؛ فيجري الله تعالى إليهم بنصرة خارقة وكأنه إله آخر تماما، ويُري من أجلهم أمورا لم يُرها للغير منذ أن خُلقت الدنيا.